بسم الله الرحمن الرحيم

تَجَلّياتٌ مِنْ حَدِيثِ (يَا عِبَادِي)

الحَمْدُ للهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ، الفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، سُبْحَانَهُ مِنْهُ المَبْدَأُ وَإِلَيْهِ الرُّجْعَى، وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، تَعَاظَمَ مَلَكُوتُهُ فَاقْتَدَرَ، يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَيَعْلَمُ مَا بَطَنَ وَمَا ظَهَرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، أَصْفَى البَشَرِ سِيرَةً، وَأَطْهَرُهُمْ بَصِيرَةً، وَأَنْقَاهُمْ سَرِيرَةً، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنِ اهتَدَى بِهَدْيِهِ، وَاستَنَّ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: أَلْزِمُوا أَنْفُسَكُمُ التَّقْوَى، وَارْبَؤُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَقَبِيحٍ، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾(١).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ أَلْقَى النَّبِيُّ ﷺ حَدِيثًا عَظِيمًا يَهْتَزُّ لَهُ الوِجْدَانُ، وَتَخْشَعُ لَهُ القُلُوبُ، وَتَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، حَدِيثَ إِنْذَارٍ وَتَبْشِيرٍ، وَتَخْوِيفٍ وَرَجَاءٍ؛ فَافتَحُوا لَهُ قُلُوبَكُمْ، وَأَصِيخُوا لَهُ أَسْمَاعَكُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا

(١) سورة البقرة / ٢٨١.

فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ)).

أُمَّةَ الإِسْلامِ:

جَمَعَ هَذَا الحَدِيثُ القُدْسِيُّ الكَرِيمُ تَوْجِيهَاتٍ رَبَّانِيَّةً عَظِيمَةً، وَوَصَايَا إِلَهِيَّةً جَلِيلَةً، تُوقِظُ ضَمِيرَ المُؤْمِنِ، وَتُحْيِي نَفْسَهُ، وَتُنِيرُ دَرْبَهُ، وَتَسْمُو بِرُوحِهِ، وَتَجْعَلُ قَلْبَهُ نَابِضًا بِحُبِّ اللهِ ﷻ، دَائِمَ التَّعَلُّقِ بِهِ سُبْحَانَهُ، مُتَقَلِّبًا بَيْنَ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، مُفَوِّضًا كُلَّ أُمُورِهِ إِلَيْهِ، مُسْتَمْسِكًا بِحَبْلِهِ المَتِينِ، سَائِرًا فِي صِرَاطِهِ المُستَقِيمِ. وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَلْفِتُ الانتِبَاهَ فِي هَذَا الحَدِيثِ العَظِيمِ تَكَرُّرُ النِّدَاءِ الرَّبَّانِيِّ: ((يَا عِبَادِي)) عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَهُوَ لَفْظٌ يَفِيضُ حُبًّا وَحَنَانًا مِنَ اللهِ ﷻ لِعِبَادِهِ، يُشْعِرُهُمْ بِلُطْفِ رَبِّهِمْ وَرَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلُ قُلُوبَهُمْ تَهْفُو إِلَى سَمَاعِ مَوْعِظَةِ خَالِقِهِمُ الجَلِيلِ، وَيُحَلِّقُ بِأَرْوَاحِهِمْ إِلَى سَمَاءِ تِلْكَ التَّوْجِيهَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَفِي النِّدَاءِ بِهَذَا اللَّفْظِ مَا يَجْعَلُ العِبَادَ أَكْثَرَ امتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ العَبْدِ أَنْ يُسَارِعَ جَاهِدًا إِلَى امتِثَالِ أَمْرِ سَيِّدِهِ وَمَوْلاهُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

حَذَّرَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ فِي أَوَّلِ الحَدِيثِ مِنَ الظُّلْمِ؛ ذَلِكَ لأَنَّ الظُّلْمَ يُقَوِّضُ بُنْيَانَ الأُمَمِ، وَيَهْدِمُ الحَضَارَاتِ، وَيُهْلِكُ العِبَادَ وَالبِلادَ، وَبَيَّنَ المَولَى سُبْحَانَهُ أَنَّهُ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لاجتِنَابِ الظُّلْمِ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ (١)، ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾(٢)، ثُمَّ إِنَّ اللهَ ﷻ نَهَى عِبَادَهُ عَنْ أَنْ يَتَظَالَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: "فَلا تَظَالَمُوا"؛ لأَنَّ الظُّلْمَ – يَا عِبَادَ اللهِ – يُقَطِّعُ أَوَاصِرَ المَحَبَّةِ بَيْنَ أَفْرَادِ المُجتَمَعِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى التَّدَابُرِ وَالتَّنَاحُرِ، وَيُمَزِّقُ شَمْلَ الأُمَّةِ، وَيَجْعَلُهَا أَشْلاءً مُمَزَّعَةً، وَأَوْصَالاً مُقَطَّعَةً؛ وَمِنْ هُنَا كَانَ الظُّلْمُ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ، وَأَعْظَمِ الآثَامِ، فَعَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ اللهِ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ))، وَعَنْ أَبِي مُوسَى

(١) سورة النساء /٤٠.

(٢) سورة الكهف/٤٩.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(١).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنّ المُتَأَمِّلَ لِنَهْيِ اللهِ ﷻ عَنِ الظُّلْمِ، وَتَحْرِيمِهِ إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِهِ يَجِدُ مَعْنًى عَظِيمًا، وَإِشَارَةً دَقِيقَةً، فَإِذَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ، وَصَاحِبُ القُدْرَةِ المُطْلَقَةِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَفْتَةً لأَصْحَابِ النُّفُوذِ وَالقُوَّةِ، وَتَحْذِيرًا لَهُمْ عَنِ الظُّلْمِ، فَكُلَّمَا كَانَ الإِنْسَانُ ذَا جَاهٍ أَوْ قُوَّةٍ كَانَ النَّهْيُ مُتَّجِهًا إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ أَلا فَلْيَحْذَرِ الآبَاءُ مِنْ ظُلْمِ أَبْنَائِهِمْ، وَلْيَحْذَرِ الرِّجَالُ مِنْ ظُلْمِ أَزْوَاجِهِمْ، وَلْيَحْذَرِ المَسْؤُولُونَ مِنْ ظُلْمِ المُوَظَّفِينَ وَالعَامِلِينَ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، سَوَاءً فِي الجَوَانِبِ المَادِّيَّةِ أَوِ المَعْنَوِيَّةِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

ثُمَّ إِنَّ الحَقَّ ﷻ ذَكَّرَ عِبَادَهُ بِثَلاثِ نِعَمٍ عَلَيْهَا قِوَامُ حَيَاتِهِمْ وَهِيَ: نِعْمَةُ الهِدَايَةِ، وَنِعْمَةُ الطَّعَامِ، وَنِعْمَةُ الكُسْوَةِ، فَبِالهِدَايَةِ نَجَاةُ الإِنْسَانِ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، وَبِالطَّعَامِ تَقُومُ بُنْيَتُهُ وَتَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُ، وَبِالكُسْوَةِ يَسْتُرُ بَدَنَهُ، وَفِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الخَلْقِ مُفْتَقِرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي جَلْبِ مَصَالِحِهِمْ، وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، أَلا وَإِنَّهُ لا مُنْعِمَ بِتِلْكُمُ النِّعَمِ إِلاَّ اللهُ ﷻ؛ فَالهِدَايَةُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، وَهِيَ تَوْفِيقٌ مَحْضٌ مِنْهُ ﷻ يَخْتَصُّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (٢)، وَقَالَ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ، وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (٣)، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٤)، وَكَذَلِكَ الطَّعَامُ وَالكُسْوَةُ هُمَا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَحْدَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ (٥)، وَقَالَ

(١) سورة هود/١٠٢.
(٢) سورة الشعراء/٧٨.
(٣) سورة الضحى/٦-٧.
(٤) سورة القصص/٥٦.
(٥) سورة الشعراء/٧٩.

وَجَلَّ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾(١) .

عِبَادَ الله:

وَكَي يَكُونَ العِبَادُ أَكْثَرَ قُرْبًا مِنْ خَالِقِهِمْ، وَأَشَدَّ صِلَةً بِهِ؛ دَعَاهُمْ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ- إِلَى أَنْ يَطْرُقُوا أَبْوَابَ عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَأَنْ يَسْتَنْزِلُوا لُطْفَهُ وَرَحْمَتَهُ؛ فَإِنَّ العِبَادَ يُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ لَيَغْفِرُ لِلْمُستَغْفِرِينَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ، وَكَرَمٌ مِنْهُ وَجُودٌ، فَسُبْحَانَهُ مَا أَحْلَمَهُ! يَعْصِيهِ عَبِيدُهُ، وَيُخَالِفُونَ أَمْرَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى سَاحَةِ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَيُخَاطِبُهُمْ بِقَولِهِ: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٢)، وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))، وَإِذَا كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ يُكْثِرُ مِنَ الاستِغْفَارِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ؟ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

وَفِي مَعْرِضِ تَذْكِيرِ العِبَادِ بِعَظَمَةِ الخَالِقِ وَجَبَرُوتِهِ، وَجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ بَيَّنَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لا حَاجَةَ لَهُ بِطَاعَةِ العِبَادِ؛ فَنَفْعُهَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُمْ، وَأَنَّ الثَّقَلَيْنِ جَمِيعًا لَوِ اجتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِ اللهِ شَيْئًا، وَبَيَّنَ ﷻ لِعِبَادِهِ أَنَّ كُفْرَهُمْ لا يَضُرُّهُ شَيْئًا وَلَوِ اجتَمَعُوا جَمِيعًا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْهُمْ؛ ذَلِكَ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (٣)،

(١) سورة الأعراف/٢٦.

(٢) سورة الزمر/٥٣-٥٤.

(٣) سورة فاطر/١٥.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (١).

إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

إِذَا تَرَسَّخَتْ تِلْكُمُ المَعَانِي العَظِيمَةُ فِي نُفُوسِ العِبَادِ، وَخَالَطَتْ شَغَافَ قُلُوبِهِمْ، وَعَظُمَ قَدْرُ الخَالِقِ العَظِيمِ فِي أَنْفُسِهِمْ كَانَ ذَلِكَ دَافِعًا لَهُمْ كَيْ يَبُثُّوا شُجُونَهُمْ، وَيَجْأَرُوا بِمَسْأَلَتِهِمْ إِلَى اللهِ ﷻ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ لا تَتَعَاظَمُهُ مَسْأَلَةٌ، وَفِي الحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)). وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ ﷻ لِعِبَادِهِ وَاسِعَ فَضْلِهِ، وَعَظِيمَ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَبَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ إِلَى سَاحَةِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، لَمْ يَبْقَ عُذْرٌ لِمُعْتَذِرٍ، وَلا حُجَّةٌ لأَحَدٍ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ اللهَ ﷻ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُجَازَونَ بِمَا كَسَبَتْهُ أَيْدِيهِمْ، وَمَا قَدَّمَتْهُ أَنْفُسُهُمْ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(٢).

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَتَأَمَّلُوا مَا جَاءَ فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الحِكَمِ وَالأَحْكَامِ، وَعَظِّمُوا أَمْرَ اللهِ، وَاجتَنِبُوا نَهْيَهُ، وَاسأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، يَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَيَرْزُقْكُمُ الأَمْنَ يَوْمَ التَّنَادِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الجِنَّ وَالإِنْسَ لِيَعْبُدُوهُ، وَبَيَّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الخَيْرِ لِيَسْلُكُوهُ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحَبِيبُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ

(١) سورة النساء/١٣١.

(٢) سورة آل عمران/٣٠.

الدِّين.

أَمَّا بَعْدُ، فيَا أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

تَتَجَلَّى فِي ذَلِكُمُ الحَدِيثِ القُدُسِيِّ العَظِيمِ الرَّحمَةُ الإِلَهِيَّةُ فِي أَعْلَى صُوَرِهَا، وَأَرفَعِ مَقَامَاتِهَا، فَمَعَ أَنَّ العِبَادَ يُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلاَّ أَنَّ اللهَ ﷻ يَقْبَلُ تَوْبَةَ المُسْتَغْفِرِينَ مِنْهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ وَفَضْلاً، وَلَمْ يَقِفِ الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَعَا عِبَادَهُ إِلَى أَنْ يَقْرَعُوا أَبْوَابَ فَضْلِهِ، وَيَسْتَنْزِلُوا خَزَائِنَ كَرَمِهِ لُطْفًا مِنْهُ وَكَرَمًا، وَلا عَجَبَ فِي ذَلِكَ -يَا عِبَادَ اللهِ- فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١). وَلا يَعْنِي ذَلِكَ كُلُّهُ أَنْ يُحْجِمَ الإِنْسَانُ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَنْغَمِسَ فِي مَلَذَّاتِهِ وَهَوَاهُ؛ فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(٢)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾(٣).

فَاتَّقُوا اللهَ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ –، وَتَبَيَّنُوا مَعَانِيَ كَلامِ اللهِ تَعَالَى وَكَلامِ نَبِيِّهِ المُصْطَفَى ﷺ، وَاستَخْرِجُوا الفَوَائِدَ المُسْتَنْبَطَةَ مِنْهَا، لِتَعْمَلُوا عَلَى تَطْبِيقِهَا، وَأَكْثِرُوا مِنْ صَالِحَاتِ الأَعْمَالِ، تَحْظَوا بِالفَوْزِ وَالنَّوَالِ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٤).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا

---

(١) سورة الأعراف/١٥٦.

(٢) سورة الزلزلة/٧-٨.

(٣) سورة النساء/ ١٢٣-١٢٤.

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦ .

إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.